[المجلس الثالث]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نواصل شرح لكتاب اعتقاد أهل السنة للشيخ شيخ الشافعية الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وقبل أن نشرع في شرح المقصود في هذا المجلس فإني أشير إلىٰ أني ذكرت أن مسألة المصحف ستأتي إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم أنسيت الكلام عنها، فأقول: إن المصحف فيه جهتان: فيه جهة المداد والورق، وهذه مخلوقة، وفيها المكتوب فيه، وهذا هو القرآن، هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، ولذلك أهل السنة يوجبون تعظيم المصحف لأن فيه كلام الله، ويحرّمون إهانته، خلافًا لما ذهب إليه بعض أهل البدع، نعوذ بالله من سوء الحال.

وبناء عليه فإن الإنسان إذا قال: والمصحف، يحلف بالمصحف إن أراد المداد والورق، فهذا حلف بالمخلوق ولا يجوز، وإن أراد ما في المصحف فهذا حلف بكلام الله عَزَّ وَجَلَّ، والقاعدة أنه ينبغي اجتناب المشتبه، فلا يحلف الإنسان بالمصحف، ولا يقول: والمصحف، لكن إذا قال: والمصحف، وعنى به المكتوب، عنى به ما فيه فإنها يمين منعقدة، وكذلك لا ينبغي أن يقول: ورب المصحف، لأنه إذا قال: ورب المصحف فإنه يحتمل أنه يُريد المكتوب، وإذا كان المكتوب فإنه يصبح مثل القرآن، فإذا قال: ورب المصحف كأنه قال: ورب القرآن، فيكون مربوبًا، والمربوب مخلوق، لكن أنبه إلى شيء وهو أن الرب قد يأتي بمعنى الصاحب، كما يقال: ورب العزة، ورب البيت، ففي هذه الحال يجوز أن يقال: ورب القرآن ورب المصحف، لكن لما كان ذلك لا يعنى عند الناس كثيرًا وكان مشتبهًا فإنه ينبغي اجتنابه.

إذًا القرآن كما ذكرنا هو كلام الله، وهذا المعلوم، ولذلك يجوز الحلف به، فيقول الإنسان: والقرآن، وهي يمين منعقدة، وأما قول: ورب القرآن فلا يجوز؛ لأن قول الرب يشعر بأنه مربوب، وهذا لا يجوز، لأن القرآن غير مخلوق كما تقدم معنا، وإن كان قد ورد مثلًا في الحديث أن القرآن يقول: أي ربي، فإن المقصود بالرب هنا الصاحب، وكذلك بالنسبة للمصحف فإذا قال الإنسان: والمصحف، فإنه يستفصل منه، فإن أراد الورق والمداد ونحو ذلك فإنه يقال له: هذا يمين لا يصلح،

وإذا قال: إن مقصوده القرآن أو المكتوب في المصحف فإن هذا يمين وينعقد، لكن ينبغي ترك مثل هذا واجتناب مثل هذا لما فيه من الاحتمال، ثم ننتقل إلى ما نريد شرحه في هذا اليوم وذلك أنا كنا قد وصلنا إلى تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وعرفنا أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة باتفاقهم وإجماعهم وإطباقهم قول باللسان، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واعتقاد بالجنان وهو الإيمان بالأركان الستة التي جاءت في حديث جبريل، وعمل بالجوارح والأركان.

وعرفنا أن أهل السنة والجماعة يقولون: إن من حصل منه قول اللسان واعتقاد الجنان وكان مصليًا فإنه يثبت له الإيمان، فإذا فعل ذنبًا أو ذنوبًا صغيرة أو كبيرة فإن هذا لا يخرجه عن حد الإيمان، ولا يسقطه عن حد الإيمان، لكنه يضعف إيمانه، فيكون مؤمنًا ناقص الإيمان، ولكنه إذا وافى الله بذنبه، لم يتب من ذنوبه، فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة ابتداء، وإن شاء عذبه بذنبه ثم أدخله الجنة انتهاء، فلا يخلد موحد في النار وإن دخلها، ثم عرفنا أن أهل السنة والجماعة اختلفوا في حكم تارك الصلاة كسلًا، وأن القولين لا يخرجان عن كلام أهل السنة والجماعة.

ثم قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ)**، أي كثير من أهل السنة والجماعة، **(إن الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ)**، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله، وإذا ذكر كل اسم على حدته مضمومًا إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعًا أو مفردين يعني المسلم والمؤمن أريد بأحدهما معنى لم يُرد بالآخر، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم، هذه مسألة معنى الإيمان والإسلام عند اجتماعهما وانفرادهما، فالإسلام والإيمان إذا ذكرا معًا كما في حديث جبريل عليه السلام، فإن الإسلام يقصد به الأعمال الظاهرة، ورأسها الأركان الخمسة التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وإن الإيمان يقصد به عقد القلب جزمًا، وهو الإيمان بالأركان الستة التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وقال بعض العلماء: الإيمان إذا اجتمع مع الإسلام فالإيمان قول وعمل القلب، والإسلام العمل الظاهر.

وقال بعضهم: الإسلام إذا ذُكر مع الإيمان فالإسلام فعل الواجبات المفروضات، وترك المعاصي المحرمات، إذا ذُكر الإسلام والإيمان معًا، قال بعض أهل السنة: إن الإسلام هو فعل

الواجبات المفروضات، وترك المعاصي المحرمات، والإيمان هو ما يكون في القلب، ثم ذكر الشيخ فقال: **(الإسلام والإيمان واحد)**، أي أن الإسلام هو الدين كله، والإيمان هو الدين كله، فهما بمعنى واحد، فهما مترادفان، وهذا في الحقيقة عند الانفراد صحيح، فإذا قيل: الإسلام، فالإسلام هو دين الله الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صار معهودًا على هذا، وإن كان أصل الإسلام هو ما جاء به الأنبياء عليهم السلام، لكن بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار معهودًا فيما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالإسلام دين الله الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإيمان إذا انفرد هو بنفس المعنى: دين الله الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون شاملًا للدين كله، قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:٨٥]، فَلَوْ أَنَّ الْإِيمَانَ غَيْرِهِ لَمْ يُقْبَلْ)**، يعني لو أن الإيمان غير الإسلام فإنه صار في دائرة عدم المقبول، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:٨٥]، فلو كان الإيمان غير الإسلام لكان داخلًا في حد غير المقبول، والإيمان مقبول، إذًا هذه الآية تدل على أن الإسلام هو الإيمان، وأن الإيمان هو الإسلام.

(وَقَالَ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦])، فوصفهم بالإيمان ووصفهم بالإسلام، وهذا يدل على أنهما واحد، **قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ أَنَّ الْإِسْلَامَ مُخْتَصّ بِالِاسْتِسْلَام لِلَّه وَالْخُضُوعِ لَهُ وَالِانْقِيَاد لِحُكْمِهِ فِيمَا هُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ)**، ما معنى هذه الجملة؟ **(وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ أَنَّ الْإِسْلَامَ مُخْتَصّ بِالِاسْتِسْلَام لِلَّه وَالْخُضُوعِ لَهُ وَالِانْقِيَاد لِحُكْمِهِ فِيمَا هُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ)** أي في الظاهر، والإيمان ما في القلب، وهذا كما قلنا: عند اجتماعهما، **(كَمَا قَالَ سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤])**، أي أنهم خضعوا واستسلموا في الظاهر، وانقادوا في الظاهر، لكن الإيمان لم يدخل قلوبهم، **(وَقَال سبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧]، وَهَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ لِمَنْ قَالَ: هُمَا**

وَاحِد)، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧].

وإذا فُصل الأمر علمنا أن القولين لم يتواردا على محل واحد، فإذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ بِرَحْمَتِهِ)، **هذا تضمن أمرين:**

الأمر الأول: أن بعض أهل التوحيد يدخلون النار، بسبب ذنوبهم، وأن الله لم يشأ أن يعفو عنهم، فقول بعض الناس: إن كل من وحد لا يدخل النار قول غير صحيح، بل من أهل التوحيد من يوافون بذنوب يستحقون بها دخول النار، ولا يشاء الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعفو عنهم، فيدخل قوم من أهل التوحيد النار، لكنهم يخرجون منها، إما بعد أن يعاقبوا على ذنوبهم ويمحصوا بهذا العقاب من ذنوبهم، وإما قبل ذلك، فإن من الموحدين من يدخل النار ثم يخرج منها عما قريب، وهذا برحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، وجعل الله عَزَّ وَجَلَّ لذلك أسبابًا، منها: الشفاعة، وأهل الجنة مثلًا يشفعون لإخوانهم الذين دخلوا النار، ويقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، أي تحرم صور أهل الجنة على النار، فيدخلون النار، ومن وجدوه ممن عرفوه أخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، كما جاء ذلك في الصحيحين.

ولذلك طون الإنسان مع أهل السنة، مع الصالحين من أهل السنة حتى ولو كان يرى في نفسه نقصًا، ولو كان يرى في نفسه قصورًا فإن في هذا خيرًا عظيمًا له، فإنه إن استحق دخول النار، ودخل النار بذنبه، فإن هؤلاء الصالحين الذين يدخلون الجنة يشفعون له ولأمثاله، ولذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وقال الشيخ: (وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ)، لما ذكر أن الموحدين من أهل النار يعني يخرج قوم منهم بشفاعة الشافعين ذكر أن الشفاعة حق، فأهل السنة والجماعة مطبقون على أن الشفاعة حق، والشفاعة يحصل بها إكرام الشافعي ورحمة المشفوع له، والشفاعة إنما تكون بإذن رب العالمين، فالشفاعة كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال ربنا: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فلا تطلب الشفاعة إلا ممن يملكها، لا تطلب الشفاعة ممن يرجى أن يشفع، وإنما تطلب الشفاعة ممن

يملك الشفاعة، ويأذن في الشفاعة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والشفاعة لمغفرة الذنوب إنما هي لأهل التوحيد خاصة، هذه الشفاعة التي تكون من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأقوام عليهم ذنوب ليغفر الله ذنوبهم إنما تنال أهل التوحيد.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا» رواه مسلم، فأهل الشرك لا يدخلون في شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمغفرة الذنوب، نعم يدخلون في شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفصل القضاء، والشفاعة الخاصة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض الكفار، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يُخفف عنه العذاب، فعندما يسألنا سائل: هل يدخل الكفار في شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فإن الجواب يكون: بأن في هذا تفصيلًا، فأما شفاعته صلى الله عليه لفصل القضاء بين الناس فإنها شفاعة عامة، كذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع لبعض الكفار بأن يخفف عنهم العذاب مع خلودهم في النار.

وأما الشفاعة التي هي لمغفرة الذنوب ولدخول الجنة فإنما هي لأهل التوحيد، والمعلوم أنه لن يشفع معبود لعابده يوم القيامة، والمشركون لا يشفع لهم أحد، ولن يشفع أحد إلا بإذن الله، ولا يشفع إلا لمن ارتضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والشفاعة يوم القيامة منها شفاعة خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي الشفاعة العظمى لأهل الموقف أن يرضي الله بينهم، والشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، والشفاعة لبعض الكفار أن يخفف عنهم العذاب، هذه الشفاعات خاصة بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن الشفاعة: ما يكون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولغيره، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقدم فيها، وهذه الشفاعة يُكرم الله عَزَّ وَجَلَّ بها من شاء من عباده، كالشفاعة لقوم من الموحدين ألا يدخلوا النار أصلًا، فإن هذه الشفاعة عامة، وكذلك الشفاعة لمن دخل النار من الموحدين أن يخرج منها، فإن هذه الشفاعة عامة، أعني من جهة الشافع، فإن النبي صلى الله عليه يشفع، وإن بعض الصالحين يشفعون، وإن الملائكة تشفع.

وكل هذه الشفاعات قد أجمع عليها أهل السنة والجماعة، وقد ثبتت بالأدلة كما هو مبين في موضعه، قال: (وَأَنَّ الْحَوْضَ حَقٌّ)، نعم أهل السنة والجماعة قاطبة يؤمنون بحوض النبي صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عرصات يوم القيامة، فهم يؤمنون أن لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضًا عظيمًا متسعًا في عرصات يوم القيامة، والحوض كما تعلمون هو مجمع الماء، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة» رواه الترمذي وصححه الألباني، واختص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحوض الأعظم، فحوضه أعظم حياض الأنبياء عليهم السلام، وهو واسع الأرجاء، هو مربع كل ضلع منه مسيرة شهر، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقف عليه ينظر من يرده من أمته، وقد يسقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض الناس بيده.

وماء الحوض أبيض، أبيض من اللبن وأبيض من الثلج وأبرد من الثلج، وريحه أطيب من ريح المسك، وطعمه أحلى من العسل باللبن، وآنيته أكثر من نجوم السماء، وأصل مائه من الجنة، من يرد عليه من المؤمنين بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتلبس بالأهواء والبدع، يشرب منه، ومن يشرب منه لا يظمأ بعده أبدًا، ويزاد أقوام تركوا السنة وغيروا وبدلوا وأحدثوا عن هذا الحوض، ولذلك من أراد الشرب من حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليلزم سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: (وَالْمِيزَانُ حَقٌّ)، نعم أهل السنة والجماعة يثبتون الميزان وأنه ميزان حقيقي، وأن له كفتين كما دلت عليه النصوص، وأن له لسانًا، كما أجمع عليه أهل السنة، وأنه يميل بالأعمال، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وأكثر علماء أهل السنة على أنه ميزان واحد، وإنما جُمع باعتبار ما يوزن فيه، لما كان ما يوزن فيه متعددًا جُمع، وإلا فهو ميزان واحد.

واستصغر بعض أهل العلم أنها موازين، كشيخنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، والشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ استصغروا أنها موازين، والأمر محتمل، والمهم الإيمان بالميزان وأنه ميزان حقيقي له كفتان ولسان، وهذا الميزان توزن فيه الأعمال، ويوزن فيه العاملون، وتوزن فيه الكتب والسجلات التي فيها الأعمال، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]، والله والله إن الفلاح والنجاح هو بطاعة الله عز وجل، حيث يقود ذلك إلى رجحان كفة الحسنات على السيئات، ومن رجحت كفة حسناته ولو بحسنة واحدة دخل الجنة، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: ٩]، الخسران إنما هو عند الميزان، عندما توضع الموازين وتوزن الأعمال، فمن

خفت موازينه فذلك هو الخاسر حقًا، قال: (وَالْحِسَاب حَقٌّ)، يعني وأن الحساب حق، نعم يعتقد أهل السنة والجماعة أن الناس يعرضون على الله عرضًا عامًا لا تخفى منهم خافية، وأن الناس يسألون عن أعمالهم ويحاسبون على أعمالهم، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

فمن الناس من لا يحاسب أصلًا فضلًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أمته: «يدخل من هؤلاء الجنة سبعون ألفًا بغير حساب»، ثم بيّن أنهم الذين: «لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» كما في الحديث المتفق عليه، والمقصود: أنهم حققوا كمال التوحيد، حتى تعلقت قلوبهم بربهم تعلقًا تامًا، حتى أعنتهم عن كثير من الأسباب التي يفعلها الناس، فلفضلهم وتقدمهم على غيرهم يفضلهم الله عَزَّ وَجَلَّ على غيرهم يوم القيامة بهذه المنزلة العلية الرفيعة وهي أنهم لا يحاسبون، وإنما يأخذون كتبهم بأيمانهم، وينظرون فيها مستبشرين فرحين، ويدخلون الجنة.

ومن الناس من تعرض عليه أعماله عرضًا بدون مناقشة، أي أنه يقال له: فعلت كذا، فعلت كذا، فعلت كذا، فعلت كذا ولا يناقش، لا يُقال له: لم فعلت كذا، ولكن يعرض عليه عمله عرضًا، ثم يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» كما في الحديث المتفق عليه، ومن الناس من يناقش الحساب مناقشة، فيقال له: فعلت كذا فلم فعلت كذا، فعلت كذا فلم فعلت كذا، ومن نوقش الحساب عُذب كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا متعلق بالمسلمين، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإن لا حسنات لهم، وأعمالهم الصالحة يعني الطيبة لا تكون مقبولة، وقد يجازون عليها في الدنيا، نجد أن بعض الكفار مثلًا يحسن إلى الفقراء، يحسن إلى الأيتام، هذه أعمال ما أريد بها وجه الله، فهي ليست أعمالًا صالحة مقبولة، ولكنها صالحة في ظاهرها وفي صورتها، فهذه لا تنفعهم شيئًا، بل هي كالهباء المنثور، ولكن تُعد أعمالهم ويوقفون عليها، تعد أعمالهم السيئة ويوقفون عليها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَا يَقْطَعُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ لِأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ مُغِيب عَنْهُمْ لَا يَدْرُونَ عَلَىٰ مَاذَا يَمُوت: أَعَلَىٰ الإِسْلَامَ أَمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ؟)

مقصوده رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أن أهل السنة والجماعة لا يقطعون لأحد بعينه أنه من أهل السنة أو أنه من أهل النار، لكن يرجون للطائع ويخافون على العاصي، **لأن علم ذلك غيب عنهم من جهتين:**

الجهة الأولى: أنهم لا يدرون ما في القلوب، فقد يكون الإنسان في ظاهره مسلمًا، ويعمل ما يعمله المسلمون، لكن في قلبه نفاق، لا يكون به من المسلمين، فإن ما في القلوب لا يعلمه إلا الله، وإن كنا مأمورين بأن نعامل الناس بالظاهر، لكن من حيث الحكم بالجنة والنار لإنسان بعينه فإنا لا نجزم بهذا، بل إذا رأينا طائعًا رجونا له الجنة، وإذا رأينا عاصيًا خفنا عليه النار لهذا الوجه؛ وهو أن الذي في القلوب غيب، لا يطلع عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نحن لا نعلم ما في القلوب.

والوجه الثاني: أن لا نعلم ماذا سيموت عليه الإنسان، هذا غيب، فقد يعمل الإنسان بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار، وقد يعمل الإنسان بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة، فهذا غيب عنا، وإن كان الأمر كما قلت: أنه من حيث الظاهر يُحكم بالظاهر، فمن أظهر الإسلام حكمنا بإسلامه، وعاملناه معاملة المسلم، وصلينا عليه، وفعل بعض الناس أنه إذا كان لا يعرف الشخص بعينه لا يصلي عليه، هذا غير صحيح، هذا عمل باطل، ما دام أنه أظهر الإسلام وشُهد له بالإسلام فإنه يصلى عليه، يُغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَكِنْ يَقُولُونَ: إِنَّ مِنْ مَاتَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ مُجْتَنِبًا لِلْكَبَائِرِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْآثَامِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)، هذا من حيث الوصف لا من حيث التعيين، **(لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** [البينة: ٧])، فوصفهم بالإيمان والعمل الصالح، ولم يذكر عنهم ذنبًا كما قال الشيخ: لم يذكر عنهم ذنبًا، ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٧، ٨]، فهؤلاء الذين جاءوا بالإيمان والعمل الصالح، ولم يأتوا بالبدع ولا بكبائر الذنوب هؤلاء هم أهل الجنة ابتداء، هذا مقصود الشيخ، من يدخلون الجنة ابتداء، أما من يوافي بذنب وهو موحد فقد تقدم أنه قد يدخل الجنة ابتداء بمغفرة الله وعفوه، وقد يدخل النار ثم يخرج منها ويدخل الجنة.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمِنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهِ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَصَحَّ لَهُ ذَلِكَ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ اتْبَاعًا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِه)**، نعم أهل السنة والجماعة يقطعون بدخول أهل الجنة لأناس بأعيانهم بأسمائهم، وهؤلاء هم الذين

سماهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم من أهل الجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة، وهم الخلفاء الأربعة والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك مثلًا ثابت بن قيس شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، وعبد الله بن سلام شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، وفاطمة بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهد لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فنحن نشهد لهم بالجنة بأعيانهم، وأنهم يدخلون الجنة بأعيانهم.

وأما من عداهم فإنا نقطع أن من لقي الله موحدًا مات على ذلك يدخل الجنة، إما ابتداء وإما انتهاء كما تقدم بيانه.

قال: **(وَيَقُولُونَ: إِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ يُعَذِّبُ اللهُ مِنْ اسْتَحَقَّهُ أَنْ شَاءَ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ)**، نعم يطبق أهل السنة والجماعة على إثبات عذاب القبر، فأهل السنة والجماعة مثبتون على أن في القبر عذابًا، وعلى أن في القبر نعيمًا، فالقبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، وقد دل على ذلك القرآن كما ذكر المصنف، ودلت عليه السنة، وقد روى أحاديث عذاب القبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنان وثلاثون صحابيًا، رووا أحاديث عذاب القبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ندبًا المؤمن أن يتعوذ بالله من عذاب القبر في آخر كل صلاة، كما عند مسلم في الصحيح، فهذا يدل دلالة بينة على ثبوت عذاب القبر، وعلى أن المؤمن قد يعذب في قبره إن فعل الأسباب التي يستحق بها عذاب القبر.

والله عَزَّ وَجَلَّ يُعذب من استحق عذاب القبر بعدله إن شاء، ويعفو عن بعض من يستحق عذاب القبر بفضله إن شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **ولذلك على المؤمن أن يحرص حرصًا شديدًا على اجتناب عذاب القبر بأمرين عظيمين:**

الأول: أن يحرص على اجتناب أسباب عذاب القبر، كالنميمة مثلًا والسعي في الإفساد بين الناس، وأعظمها وأقبحها: السعي للإفساد بين العلماء وطلاب العلم، أن يحرص الإنسان على أن يفسد ما بين شيخين فاضلين أو عالمين فاضلين أو بين طالبي علم متحابين، هذا أقبح النميمة، والنميمة سبب من أسباب عذاب القبر، فينبغي على الحريص على نفسه وعلى السلامة من عذاب القبر أن يبتعد بعدًا شديدًا عن أسباب عذاب القبر، ومنها النميمة، ولا سيما هذا الذي يقع من بعض

إخواننا من السعي بين المتحابين من أهل العلم وطلاب العلم للوقيعة بينهم، وكم فرق هذا اللسان بين الأحبة، كم من طالبي علم عاشا سنين عددًا متحابين متعاضدين متعاونين على الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فدخل نمام بينهما، فأفسد ما بينهما، وقطع الصلة بين الأحبة.

فالشاهد: أن الأمر الأول الذي يجتهد فيه المؤمن حتى يجتنب عذاب القبر أن يجتنب أسباب عذاب القبر.

والأمر الثاني: أن يكثر من الاستعاذة بالله من عذاب القبر، ومن عجب أن بعضنا إذا انتهى من الواجب عليه في التشهد بادر إلى السلام، ولا يستعيذ بالله من الأربع التي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بالاستعاذة منها، وقد قال بعض أهل العلم بوجوب الاستعاذة في الصلاة المفروضة، والقول قوي وإن كان الراجح أن هذا على سبيل الندب، لكن للإنسان فيها مصلحة عظيمة، فلا ينبغي للإنسان أن يعجل، بل ينبغي أن يدعو، وعلى الأقل أن يستعيذ بالله من هذه الأربع التي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بالاستعاذة منها في آخر التشهد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ [غافر: ٤٦])، هذه الآية دليل على عذاب القبر، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿النَّار يعرضون عليها﴾، يعرضون، فكان هذا عرضًا، ودل ذلك على أنه ليس هذا الذي يكون يوم القيامة، لأن الذي يكون يوم القيامة أنهم يدخلون النار، أما في هذا العذاب فإنهم يعرضون عليها عرضًا، ثم قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، فهذا تعرض عليهم النار يعذبون بذلك غدوًا وعشيًا، وأما النار عند دخولها نعوذ بالله من دخول النار فإنها تكون مطبقة عامة، ثم قال الله: ﴿ويوم تَقُوم السَّاعَةُ﴾، فعلمنا أن الذي قبل ذلك قبل قيام الساعة، فدلت هذه الوجوه الثلاثة على عذاب بالنار قبل يوم القيامة، **وهذا يحتمل قبل يوم القيامة يحتمل أمرين:** يحتمل أن يكون في الدنيا، ويحتمل أن يكون في القبر، وقد علمنا يقينًا أنه ليس في الدنيا، فبقي أنه في القبر، فتعين أن هذا العذاب يكون في القبر.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَأَثْبَتَ لَهُمُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا عَذَابًا بِالْغُدُوِّ وَالْعَشِيِّ دُونَ مَا بَيْنَهُمَا)، يعني دون ما بين الغدو والعشي، (حَتَّىٰ إِذَا قَامَتْ الْقِيَامَةُ عُذِّبُوا أَشَدَّ الْعَذَابِ بِلَا تَخْفِيفٍ عَنْهُمْ كَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا)، وقال أيضًا يعني ذكر من الأدلة: (وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] يَعْنِي: قَبْلَ فَنَاءِ الدُّنْيَا)، المعيشة الضنك فسرها جماعة من العلماء بأنها في القبر، حيث يعذب في قبره ويضيق عليه قبره، ويكون في ضيق في قبره، وقد ورد عن ابن حبان بسند حسن ما يدل على أن المعيشة الضنك في القبر، ورد ذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسند حسنه بعض أهل العلم وجوده بعض أهل العلم، قال الشيخ: (وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] يَعْنِي: قَبْلَ فَنَاءِ الدُّنْيَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ قَبْلَ ذَلِكَ: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤])، قال الشيخ: (بَيَّنَ أَنَّ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، لما كان قبل يوم القيامة يشمل ما في القبر وما في الدنيا دلل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ على أنه لا يُراد بها المعيشة في الدنيا، فقال: (وَفِي مُعَايَنَتِنَا الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُشْرِكِينَ فِي الْعَيْشِ الرَّغْدِ وَالرَّفَاهِيَةِ وَالرَّفَاهَةِ فِي الْمَعِيشَةِ)، يعني أنه في الدنيا ليسوا في معيشة ضنك، بل نرى أنهم يملكون الأموال ويملكون ما يترفهون به في الدنيا.

قال: (مَا يُعْلَمُ بِهِ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ ضِيقُ الرِّزْقِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لوجودنا)، لوجودنا تعني لأنا وجدنا، لا تعني أنا موجودون، وإنما يقصد لوجداننا، لأنا وجدنا، (الْمُشْرِكِينَ فِي سَعَةٍ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ قَبْلَ الْمَوْتِ بَعْدَ الْحَشْرِ)، أي تعين أن المراد بذلك في القبر، **قال رَحِمَهُ اللَّهُ:** (وَيُؤَمِّنُون بِمَسْأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ)، أي يعتقد أهل السنة والجماعة أن المقبور، يا إخوة كل من مات فما استقر فيه فهو قبره، لو أن إنسانًا مات في الغابة فأكله أسد واستقر في بطن الأسد فبطن الأسد قبره، لو أن الإنسان غرق في البحر فابتلعه حوت فبطن الحوت قبره، والمدفون هذه الحفرة قبره، كل مقبور فهو في قبره يسأل ويفتن إلا من استثني بدليل.

كل مقبور يفتن ويسأل إلا من جاء الدليل باستثنائه كالشهيد، فإن الشهيد الذي قُتل في جهاد صحيح يبتغي بذلك وجه الله لا يفتن في قبره، وهذه الفتنة أنه يسأل عن ربه وعن نبيه وعن دينه، يأتيه ملكان أسودان أزرقان، ما معنى هذا: أسودان أزرقان؟ أي لشدة سوادهما كأن فيهما زرقة،

وهذا تراه، بعض الناس يكون شديد السواد، حتى كأن في لونه زرقة، فهذا المقصود الشدة المتناهية في السواد، يأتيه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر أو منكر، وردت الروايات بهذا وهذا، والنكير أو نكير، وردت الروايات بهذا وهذا، (عَلَىٰ مَا ثَبَتَ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: "أحكام الجنائز" جمع الروايات الواردة جمعًا حسنًا يحسن بطالب العلم أن يستفيد منها إذا أراد أن يخطب مثلًا خطبة عن عذاب القبر، فإن الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذه من ميزات هذا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الذي خدم السنة خدمة عظيمة، وبالتالي خدم الإسلام والمسلمين.

من ميزاته رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه يجمع الروايات الصحيحة، ويؤلف بينها، ويوردها في سياق واحد، وهذا يمهد السبيل لطالب العلم للاستفادة من الحديث برواياته، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَعَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وَمَا وَرَدَ تَفْسِيرُهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي في القبر، أي قبل يوم القيامة، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾، فلا يجيبون عن هذا السؤال، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، وقد فسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية بالسؤال في القبر، كما هو عند البخاري ومسلم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَيَرَوْنَ تَرْكَ الْخُصُومَاتِ وَالْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ)، أي أن أهل السنة والجماعة يسلمون للقرآن والسنة، ولا يجادلون فيهما على سبيل الإنكار، والرد بالعقول المزعومة أو غيرها، بعض الناس والعياذ بالله إذا جاء حديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصح إسناده، بل ربما في الصحيحين أو عند البخاري أو عند مسلم قال: أنا عقلي لا يقبل هذا الحديث، ويجادل في الحديث، هذا يخالف طريقة أهل السنة والجماعة، ومنهج أهل السنة والجماعة، منهج أهل السنة والجماعة التسليم للقرآن تسليمًا مطلقًا، والتسليم لثابت السنة تسليمًا مطلقًا، ولا يجادلون أبدًا في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سبيل الإنكار أو على سبيل الرد لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالمقصود بكونهم يرون ترك الخصومات والمراء في القرآن أي الخصومات التي على سبيل الإنكار وعلى سبيل التكذيب وعلى سبيل الرد، فالمؤمن شأنهم الخضوع للدليل والتسليم له، وكذلك أيضًا يرون ترك الخصومات والمراء في القرآن وغيره، وفي سائر الحق، إذا انتقل ذلك إلى الجدل الذي يقصد به نصرة القول لا نصرة الحق، فإن أهل السنة والجماعة إذا وصل الأمر إلى هذا الحال يعرضون، ولا يناقشون ولا يستمرون في النقاش، فإذا ظهر من النقاش أن المناقش إنما يُريد نصر قوله ولا يُريد نصر الحق فإنه لا يجادل ولا يخاض معه في النقاش، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة، ولذلك أهل السنة والجماعة كانوا لا يجادلون أهل الأهواء، لأنه يظهر من جدالهم أنهم لا يبتغون إلا نصرة أقوالهم، لا يبتغون الحق، فمثلًا أهل السنة والجماعة يجادلون أهل الأهواء إلا أن يلزموا بهذا، كما حصل مع الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في فتنة خلق القرآن.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(كَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤] يَعْنِي: يُجَادِلُ فِيهَا تَكْذِيبًا بِهَا)** وإنكارًا لها، فالذي يجادل في آيات الله إنكارًا لها وتكذيبًا لها ويجادل في ثابت سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنكارًا له وجحدًا له، فالحقيقة إنما هو يصنع صنيع الكفار الذي يجادلون في آيات الله تكذيبًا لها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيُثْبِتُونَ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، من هنا يشرع المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الكلام عن عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، وبدأ بعقيدتهم في أفضلهم وهم الخلفاء الأربعة، هم خير الأمة بعد نبيها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وخير الأربعة أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على تقديمهما في الفضل وفي الخلافة، فأفضل الأمة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أول خليفة بالإجماع، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أجمع على ذلك الصحابة كما هو ظاهر من حالهم جدًا، وقد قال أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبينا: أبو بكر"، ثم قال: "ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر: عمر".

هذا الأثر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه أحمد، وقد قاله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على منبر الكوفة، ولذلك الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كان يقسم بالله عَزَّ وَجَلَّ فيقول: "والله العظيم قال علي هذا"

وهو عنه متواتر، لأنه قاله على المنبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، إذًا أهل السنة والجماعة مجمعون على تقديم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة والفضل، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة والفضل، ثم أجمع أهل السنة على تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة، ففي استحقاق الخلافة يجمع أهل السنة والجماعة على أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أحق بالخلافة من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما في الفضل فقد اختلف أهل السنة في أيهما يُقدم؟ بمعنى أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الأمة بعد أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثم اختلفوا في أيهما المقدم: هل الثالث عثمان أو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ وهذا الخلاف كان عند المتقدمين من أهل السنة، ثم استقر الأمر عند أهل السنة على تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، كان أكثر أهل السنة يقدمون عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، وبعضهم يقدم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، ثم تُكر هذا الخلاف، وأجمع أهل السنة والجماعة على تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، كما قُدم في الخلافة، وهذا معنى قول الحافظ بن حجر: "إن هذا الخلاف كان قديمًا ثم ارتفع"، ولذلك قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيُثْبِتُونَ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاخْتِيَارِ الصَّحَابَةِ إِيَّاهُ، ثُمَّ خِلَافَةَ عُمَرَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِاسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ إِيَّاهُ، ثُمَّ خِلَافَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِاجْتِمَاعِ أَهْلِ الشُّورَىٰ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا عَنْ أَمْرِ عُمَرَ، ثُمَّ خِلَافُهُ عَلَىٰ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِبَيْعَةِ مَنْ بَائِعٍ مِنْ الْبَدْرِيِّينَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَمَنْ تَبِعَهُمَا مِنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ مَعَ سَابَقَتُه وَفَضْلِه)، وقد عرفنا كل ما يتعلق بهذا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَقُولُون بِتَفْضِيل الصَّحَابَةِ الَّذِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨])، يعتقد أهل السنة والجماعة فضل الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة بيعة الرضوان، وهم ألف وأربعمائة أو ألف وخمسمائة من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلهم من أهل الجنة والرضوان، كلهم قد رضي الله عنهم وكلهم من أهل الجنة، لا يدخلون النار أبدًا، كما قال النبي صلى الله عليه: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»، قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠])، يعتقد أهل السنة والجماعة فضيلة المتقدمين من أصحاب

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار على المتأخرين منهم، مع إثبات الفضل لجميعهم، لكن المتقدم من الصحابة أفضل من المتأخر من الصحابة، ولذلك المتقدمون من الصحابة ممن بايعوا تحت الشجرة أفضل من المتأخرين من الصحابة ممن بايعوا تحت الشجرة مع ثبوت الرضوان والجنة للجميع، وهذا التفاضل يسميه أهل العلم تفاضل في الكمال، والتفاضل في الكمال لا يستلزم نقصًا، ولذلك القرآن بعضه أفضل من بعض، مع أنه كلام الله لأن هذا التفاضل تفاضل في الكمال، والتفاضل في الكمال لا يستلزم نقصًا.

كذلك مثلًا تفاضل الصحابة، تفاضل الصحابة لا يستلزم نقصًا، وإنما تفاضل في الكمال، وكلهم صحابة، قد رضي الله عنهم وهم عدول، وكذلك مثلًا تفاضل أهل الجنة في منازلهم فإنه تفاضل في الكمال، لا يستلزم نقصًا، **قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِنْ أَثْبَتَ اللهُ رِضَاهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُوجِبُ سُخْطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ)**، وقد أثبت الرضا للصحابة بإطلاق، ثم من بعد الصحابة يقاس بالصحابة، فمن تبع الصحابة بإحسان فإنه يدخل في الرضا، ولذلك قال الشيخ: **(وَلَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ لِلتَّابِعِين إِلَّا بِشَرْطِ الْإِحْسَان، فَمَنْ كَانَ مِنْ التَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَلَمْ يَأْتِ بِشَرْطِ الْإِحْسَانِ فَلَا مَدْخَلَ لَهُ فِي ذَلِكَ)**، لا مدخل له في الرضا، ولذلك يا أخي إذا أردت أن تدخل في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فألزم منهج السلف، ألزم ما كان عليه الصحابة.

فإن هذا اتباع لهم بإحسان، ومن تبع الصحابة بإحسان دخل في قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، قال: **(وَمِنْ غَاظَه مَكَانَهُمْ مِنَ اللهِ)**، يعني من غاظه مكان الصحابة من الله، وأن الله رضي عنهم، وأنهم عدول كلهم، **(فَهُوَ مَخُوفٌ عَلَيْهِ مَا لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ)**، ما هو؟ ما هو الذي لا شيء أعظم منه يخاف؟ الكفر، مقصوده: من غاظه فضل الصحابة فضلًا عن أن ينكر فضله، فضلًا عن أن يكفرهم فإنه يخشى عليه الكفر أو يكفر فعلًا، **(لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾** [الفتح: ٢٩]**)**، وهذا وجه الشاهد: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، **(فَأَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَهُمْ غَيْظًا لِلْكَافِرِين)**.

قال: (وَقَالُوا بِخِلَافَتِهُمْ)، قالوا: بصحة خلافة الأربعة الخلفاء رضوان الله عليهم، وأجمعوا على ذلك لأدلة، منها: قال: (لِقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [النور: ٥٥])، هذا الخطاب ليس للكفار، هذا الخطاب للمؤمنين مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خطاب للصحابة رضوان الله عليهم، قال الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾، إذًا هم بعضهم، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، إذًا المراد هنا: وعد الله أفضلكم، وإلا فالصحابة قد آمنوا وعملوا الصالحات، فيكون المراد: وعد الله أفضلكم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَخَاطَبَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْكُمْ﴾ مِنْ نَزَلَتْ الْآيَةُ وَهُوَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى دِينِهِ، فَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥])، فالاستخلاف كان وعدًا على التعيين لأفضل الصحابة، وأفضل الصحابة كما قلنا بالإجماع هؤلاء الأربعة بالإجماع، أفضل الصحابة هؤلاء الأربعة، وأفضل الأربعة أبو بكر رضي الله عنهم، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم وقع الخلاف الذي ذكرناه ثم ارتفع، فاستدل أهل السنة والجماعة على صحة خلافة الأربعة بهذه الآية، وهذا يرشدك إلى عمق استدلال أهل السنة والجماعة بالأدلة النقلية، فإنهم مع تعظيمهم للأدلة النقلية عندهم دقة فهم للأدلة النقلية، بخلاف ما يسمهم به المخالفون له من أنهم إنما يتبعون الظواهر.

ومقصودهم بقوله: إنهم يتبعون الظواهر من غير فهم لمقصودها، وهذا خلاف الواقع من أهل السنة والجماعة، قال الشيخ: (فَمُكِّن الله بـ أَبِي بَكْرٍ الصديق وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ الدَّيْن)، **انتبهوا لهذا الاستدلال:**

أولًا: استدل بالآية أو استدل أهل السنة والجماعة بالآية على صحة خلافة الأربعة لفضلهم، والآية نص في استخلاف أفضلهم، ثم استدل بأثر خلافتهم على صحة خلافتهم الواقعة أن الموعود في الآية تحقق بخلافتهم، قال: (فَمُكِّن الله بـ أَبِي بَكْرٍ الصديق وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ)، هل ذكر عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ ما ذكر عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لماذا؟ لم يذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه لأن الفتنة العظيمة وقعت في زمنه، لا لنقص فيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا لنقص في خلافته، لكن هذا أثر

على تمكين الدين وقوع الفتنة في زمنه أثر على تمكين الدين، لكن نحن نقول: ولعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن تمكين الدين مع وجود الفتنة كان في زمنه ظاهرًا بحمد الله.

فقال: (فَمُكِّن الله بـ أَبِي بَكْرٍ الصديق وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ الدِّيْن وَعَدَ اللهُ) يعني الذي ذُكر في الآية، (آمَنِينَ يَغْزُون وَلَا يُغْزَوْنَ، وَيُخِيفُون الْعَدُوِّ وَلَا يُخِيفُهُمْ الْعَدُوّ)، وهكذا شأن من تمسك بالكتاب والسنة يلقي الله الرعب في قلوب أعدائه، ولذلك يا إخوة تجد طالب العلم الصغير من أهل السنة إذا لقي الكبير من أهل البدعة يرتعد أمامه، يهابه، يخافه، لأن هذه سنة الله، يجعل الله مهابة أهل الحق في قلوب أهل الهوى والبدعة والشرك، قال: (وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ)، هنا أيضًا يستدل المصنف على خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنها خلافة صحيحة، قال: (وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْم تَخَلَّفُوا عَنْ نُبَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْغَزْوَةِ الَّتِي نَدَبَهُمْ اللهُ لها)، أي في غزوة تبوك، (بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)﴾ [التوبة: ٨٣])، قال: (فَلَمَّا لَقُوَا النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ الْإِذْنَ فِي الْخُرُوجِ لِلْغَزْوِ فَلَمَّا يَأْذَنْ لَهُمْ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)﴾ [الفتح: ١٥]).

إذًا انتبهوا من هاتين الآيتين علمنا أن المخلفين لن يدعوهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجهاد، ولن يقاتلوا معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما انتهى الاستدلال، قال: (وَقَالَ لَهُمْ: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ﴾ [الفتح: ١٦])، في الآيتين السابقتين أن المخلفين لن يدعوهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يقاتلوا معه عدوًا أبدًا، هنا يقول الله: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ﴾، فعُلم أن الذي يدعوهم ليس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، أصحاب بأس شديد وهم المرتدون، ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، المرتدون يقاتلون على الإسلام فقط، إما أن يسلموا، وإما أن يقتلوا، فدل ذلك على أن ذلك في المرتدين، ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، قالوا: والذي دعا الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قوم أولي بأس شديد هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه لقتال بني حنيفة من المرتدين.

قالوا: فدل ذلك على صحة خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلى صحة دعوته الناس إلى الجهاد، لكن الحقيقة في هذا الاستدلال نظر من أي جهة؟ نعم لو كان الأمر كما ذكره الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ فهو استدلال وجيه قوي جدًا، لكن الإشكال أن المخلفين في الآية الأولى والثانية هم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، والمعلوم أن غزوة تبوك في السنة التاسعة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدعو إلى قتال بعدها، أما في آخر آية: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، فهم الذين تخلفوا عن الخروج للحديبية، فهؤلاء تخلفوا والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خروجه للحديبية ما خرج للقتال، وإنما خرج للعمرة، فهؤلاء المخلفون من الأعراب فاتهم فضل المبايعة تحت الشجرة.

فقيل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهم ستدعون، والداعي هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه بعد الحديبية دعا إلى فتح مكة، ودعا إلى قتال هوازن، وحاصر الطائف، فتكون الآية الثالثة في غير المخلفين في الآية الأولى والثانية، وهذا الصواب، ولكن انظروا عمق الاستدلال، انظروا كيف أن أهل السنة والجماعة عندهم عمق فهم للنصوص.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَاءٌ خُوطِبُوا بِذَلِكَ لِمَا تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ فِي خِلَافِهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَأَوْجَبَ لَهُمْ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُمُ الْأَجْرَ وَبِتَرْكِ طَاعَتُهُمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ إِيذَانًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِخِلَافَتِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَلَا جُعْلَ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِأَحَدٍ مِنْهُمْ)، بمعنى: أن الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: هذه الآيات دليل على صحة خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبالتالي على صحة خلافة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، لم؟ لأنه إذا ثبتت صحة خلافة واحد منهم ثبتت صحة خلافة الآخرين، لأن خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت باستخلاف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد صحت خلافته، وخلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت بعمل أهل الشورى الذين عينهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت بمبايعة من بقي حيًا من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك **قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِذَا ثَبَتَتْ خِلَافَةُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ انْتَظَم مِنْهَا خِلَافُهُ الْأَرْبَعَة)**، وفق الله الجميع، وشرح صدور الجميع، وتقبل من الجميع.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى وأَعْلَمُ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ